

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مناهج البحث العلمي:

معنى كلمة منهج: ¹

نهج أي طريق نهج أي بين وواضح وهو النهج، وفي التنزيل ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ²

ونهجت الطريق: ابنته وأوضحته.. نهجت الطريق: أي سلكته وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه. والنهج الطريق المستقيم.

هذا اللفظ ترجمة للكلمة method الفرنسية ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى. وكلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية (نص يوناني)، هي كلمة نرى أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما نجدها كذلك عند أرسطو أحيانا كثيرة بمعنى " بحث ". والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدى إلى الغرض المطلوب، خلال المصاحب والعقبات.

و لكنه لم يأخذ معناه الحالي، أي بمعنى أنه طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم، إلا ابتداء من عصر النهضة الأوروبية.

ففي هذه الفترة نرى المناطق يعنون بمسألة المنهج، كجزء من أجزاء المنطق: فمثلا نرى مولينا ونونيث Molina، Nunez يهتمان به، ونجد فصلا طويلا عن المنهج في كتاب زبرله Zabarella (سنة 1578) عن " المنطق " وكذلك لدى أوستاش دي سان بول

¹ - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم ، الكويت، الطبعة الثالثة، 1977، ص 03.

² - سورة المائدة من الآية 48.

Summe du Feillant " خلاصة فيان " مؤلف كتاب Eustache de Saint – paul المكتوب سنة 1609

غير أن هذه محاولات لا تزال غامضة. أما المحاولة الواضحة في ذلك العصر، عصر النهضة، فهي تلك التي قام بها راموس Ramus (سنة 1515 – 1572). فقد قسم المنطق إلى أربعة أقسام: التصور، التحكم، البرهان، المنهج. والمنهج قد طالب بدراسته في آثار أصحاب البلاغة والعلم والرياضة. على أن راموس لم ينته إلى تحديد منهج دقيق للعلوم، بل عنى خصوصاً بالمنهج في البلاغة والأدب، شأنه شأن رجال عصر النهضة، ولم يهتم بالملاحظة والتجربة إلى درجة كافية، لكنه على كل حال صاحب الفضل في لفت النظر إلى أهمية المنهج مما وجد له صدى واسعاً في بيئة ذلك العصر، ثم في العصر التالي مباشرة عند منطقة بور رويال وديكارت. والعلة في أنه لم يسر طويلاً تكوينه المنهج الصحيح أنه كان أقرب إلى الأدب منه إلى العلم، فلم يكن فزيائياً، ولو أنه كان رياضياً.

و هنا أعنى في القرن السابع عشر، تمت الخطوة الحاسمة في سبيل تكوين المنهج. فبيكون في كتابه " الأورغانون الجديد " Novum Organum (سنة 1620) صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح. وديكارت حاول أن يكتشف المنهج المؤدى إلى حسن السير بالعقل، والبحث عن الحقيقة في العلوم كما يدل على ذلك نفس عنوان كتابه " مقال في المنهج " (سنة 1637) وأتى أصحاب منطق بور رويال " (الطبعة الأولى سنة 1662) فعنوا بتحديد المنهج بكل وضوح، وجعلوه القسم الرابع من منطقتهم هذا.

حد أصحاب هذا المنطق المنهج بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للأخرين، حين نكون بها عارفين ". فثمة إذن نوعان من المنهج: أحدهما للكشف عن الحقيقة، ويسمى التحليل أو منهج الحل، ويمكن أن يدعى أيضاً منهج الاختراع، والأخر،

وهو الخاص بتعليمها للآخرين بعد أن نكون قد اكتشفناها، يسمى بالتركيب أو منهج التأليف.¹

إشكالية تكوين علم المناهج:

اختلف الفلاسفة في مجال تكوين علم المناهج، وقد أثار "كلود برنار" هذا الإشكال في كتابه "المدخل لدراسة الطب التجريبي". وقد ظهرت ثلاثة آراء حول كيفية تكوين المناهج العلمية، و هل يتم وضعها من طرف فلاسفة و علماء متخصصين في علم المناهج مسبقا، أم يتم وضعها من طرف العلماء المتخصصين في مختلف العلوم، حيث يتخصص كل عالم بوضع المناهج التي تلاؤم بحثه.

ظهرت ثلاثة آراء في هذا المجال:

الرأي الأول:

يرى أنصار هذا الرأي أن المناهج يجب أن تصاغ من طرف فلاسفة و علماء مناهج، حيث أن هذه العملية فلسفية، و يحتاج الأمر إلى عملية الكشف عن الروابط و العلاقة ما بين المبادئ التي تحكم العلوم انطلاقا من فكرة وحدة العقل الإنساني و وحدة المنهج. من خلال ذلك، يرى أنصار هذا الاتجاه أن صياغة المناهج لا يقوم بها الباحثين أو العلماء المتخصصين، حيث أن الباحث أو العالم المتخصص لا يمكنه الوصول إلى الروابط التي تحكم العلوم بمختلف أنواعها، في حين أن الفيلسوف أو عالم المناهج يستطيع الوصول إلى ذلك، لأن هذه العملية هي عملية فلسفة بالدرجة الأولى.

الرأي الثاني²:

و من زعماء هذا الاتجاه (كلود برنار)، حيث يرى أن المناهج يضعها العلماء المتخصصون كل حسب ميدان تخصصه، فالعالم المتخصص في ميدان معين أدري بذلك التخصص من

¹ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 05.

² عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 11.

غيره في المجالات الأخرى، و أدرى بالمناهج المتبعة في هذا المجال و ما يخدم بحثه و موضوعه، فلا يستطيع الفيلسوف أن يضع منهجا يسير عليه الباحث المتخصص لعدم درايته بكل دقائق هذا التخصص و ما يتطلبه من وسائل وأدوات منهجية.

والنتيجة لها إذن، أن تكوين المناهج ليس من مهمة الفيلسوف، لأنه لا يستطيع إلا أن يقدم منهجاً عاماً، فضلاً عن أنه ليس على اتصال مباشر بالعلم في معبده الحقيقي وهو المعمل، إلى جانب كونه متأثراً بمذهب خاص يتحكم في تقديراته وتوجيهاته.¹

الرأي الثالث:

يعتمد هذا الاتجاه على المزج بين الرأي الأول و الرأي الثاني فهو يرى أن الفيلسوف هو وحده من يكشف على العلاقات بين مختلف العلوم و الروابط بينها، و لهذا فالفيلسوف يضع المبادئ الأساسية لكل منهج، و دور العالم المتخصص هو البحث عن آليات تطبيق المنهج في تخصصه، فيكون بذلك للفيلسوف مجاله، و يكون للعالم المتخصص مجاله الخاص به..

اختلاف علماء المناهج حول تصنيف المناهج العلمية:

من بين التصنيفات الحديثة في مجال التصنيفات الحديثة في مجال علم المناهج هناك:

- تصنيف ويثني "withney"

- تصنيف ماركيز " Marquis"

- تصنيف جود و سكييس (good/scates)

1 تصنيف هويتني Withney²

يقسم "ويتني" المناهج إلى :

- منهج وصفي

¹ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 09.

² - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 223.

-منهج تاريخي

-منهج تجريبي

-البحث الفلسفي

- البحث التنبؤي

-البحث الاجتماعي.

-البحث الإبداعي.

من خلال هذا التقسيم الذي اعتمده " هويتتي"، نلاحظ أنه يخلط بين المنهج و البحث، فالبحث الاجتماعي مثلا ليس منهجا و إنما هو من أنواع البحوث، و هذا البحث يحتاج إلى منهج في إعدادة.

2-تصنيف ماركيز¹: Marquis " يقسم " ماركيز" المناهج إلى :

-المنهج الانثربولوجي.

-المنهج الفلسفي.

-منهج دراسة الحالة.

-المنهج التاريخي.

-منهج المسح.

-المنهج التجريبي.

يعتبر هذا التقسيم منهج دراسة الحالة و منهج المسح منهجين أساسيين، لكن هما في الأصل منهجين فرعيين تابعين إلى المنهج الوصفي.

3-تصنيف جود و سكتيس": good/scates " ² يقسم المناهج إلى :

¹ - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 229. وعبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1971، ص 212.

² - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 231.

- المنهج التاريخي
 - المنهج الوصفي
 - منهج المسح الوصفي
 - المنهج التجريبي
 - منهج دراسة الحالة والدراسات الاكلنيكية.
 - منهج دراسة النمو و التطور و الوراثة
- من خلال ملاحظة التقسيم، نلاحظ أنه وقع في نفس التقسيم الذي اعتمده التقسيم السابق في
- ما يخص منهج المسح و منهج دراسة الحالة، و اعتبرهم منهجين أساسيين
- 4- تصنيف عبد الرحمن بدوي: يقسمها إلى ثلاثة:**
- 1- المنهج الاستدلالي.
 - 2- المنهج التجريبي.
 - 3- المنهج الاستردادي (التاريخي).

العلوم الإنسانية و المناهج العلمية: (معوقات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية)¹

يطرح البعض إشكالية خضوع العلوم الإنسانية لقواعد المنهج، و هذا يطرح من جهة أخرى مدى علمية العلوم الإنسانية بالمعنى الدقيق للعلم. ففي السابق لم يبتقب العلماء تطبيق المناهج العلمية في مجال العلوم الإنسانية فقد كان البعض ينظر إلى هذه العلوم بأنها ليست علوما كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية، إلا أن هذا الأمر من جهة أخرى يطرح خصوصية العلوم الإنسانية و تعقد ظواهرها، و عدم تجانسها و عدم ثباتها و صعوبة استخدام التجريب في هذا المجال بالإضافة إلى ضعف الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية نظرا لاتصالها بالإنسان موضوع الدراسة.

1-تعقيد الظواهر الإنسانية:

تتعلق الظاهرة الإنسانية بعناصر متعددة و معقدة، مثل العناصر الجغرافية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية بالإضافة إلى المعتقدات و العادات و الأعراف من خلال كل ذلك يجد الباحث نفسه في مجال الدراسات الإنسانية و الاجتماعية أمام تنوع كبير و متغيرات كثيرة تتدخل الظاهرة الإنسانية و يزيدها تعقيدا.

و إذا كان من خصائص العلم هو السببية و التعميم بالنسبة كنتائج التي تنتج من نفس الأسباب فإن الأمر بالنسبة للعلوم الإنسانية معقد جدا، لدرجة أننا نجد صعوبة كبيرة في تحديد هذه الأسباب بالكامل

2-عدم تجانس الظاهرة الإنسانية:

يقوم البحث العلمي على فرضية التجانس أو فرضية وحدة الطبيعة، و الظواهر الطبيعية نتيجة تشابه بعضها يمكن تقسيمها إلى فئات متجانسة و استخراج القوانين التي تحكم كل فئة على حدا. لكن الظواهر السلوكية ظواهر فردية و يصعب تكرارها و من ثم من الصعب أن نحصل على تعميمات.

¹- ينظر عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 9 و 10.

3-ديناميكية الظواهر السلوكية:

نتيجة لسرعة تغير الظاهرة الإنسانية و السلوكية، فإن الباحث قد يجد نفسه في الوقت الذي يدرس فيه الظاهرة السلوكية الإنسانية أنه يدرس الظاهرة من الناحية التاريخية و ليس دراستها في الوقت الراهن لأن ثمة تغير حدث للظاهرة المدروسة.

4-عدم القدرة على استخدام التجريب في مجال الظاهرة الإنسانية:

إذا كانت التجربة من ركائز البحث العلمي، فإنها في مجال العلوم الإنسانية لا مكان لها، فالظاهرة الإنسانية ظاهرة سلوكية لا نستطيع إخضاعها للتجريب، فهي ظاهرة معنوية غير ملموسة. و قد بدأ الباحثون في مجال علم النفس محاولة استخدام التجريب الدراسات النفسية إلا أن ذلك يبقى محدودا جدا

5-صعوبة التقيد بضوابط الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية:

إن الموضوعية هي من خصائص العلم و البحث العلمي و قد يحاول الباحث في مجال العلوم الإنسانية أن يتقيد بضوابط الموضوعية، إلا أنه يجد نفسه أحيانا في اتجاه فكري معين، و قد تجعل الباحث يوصف بأنه متحيز إلى تيار معين، مثل الاتجاه الاشتراكي أو الاتجاه الليبرالي، أو غير ذلك.

إن دراسة الباحث الاجتماعي لظاهرة إنسانية معينة تجعله يسعى لتحقيق نتائج في البحث تتوافق مع معتقداته و ذاتيته أي مع عواطفه و أحاسيسه و غير ذلك، في حين أن الأمر في مجال العلوم الطبيعية يجعل من الظاهرة المدروسة ظاهرو مادية موجودة خارج فكر و وعي الإنسان و هنا يجد نفسه يتعامل معها بكل حياد.

من خلال كل ما تطرقنا له، نلاحظ أن الظاهرة الإنسانية هي ظاهرة معقدة و صعبة التعامل معها من خلال ذلك اعتبر بعض العلماء أن العلوم الإنسانية لا يمكن أن نطبق عليها المنهج العلمي الذي يتميز بالتجريد و العموم و الوصول إلى نتائج نستطيع تعميمها، و من

ثم فقد اعتبرها البعض بأنها لا ترقى إلى درجة العلم، و الاعتقاد بعدم إمكانية تطبيق المناهج العلمية عليها.

أولاً: المنهج التاريخي

تعريف المنهج التاريخي

- 1- تعريف التاريخ لغة: أرخ، تأريخ، تسجيل حادثة ما في مكان ما و زمان ما.
- 2- تعريف التاريخ اصطلاحاً: عرفه ابن خلدون على أنه: (إن فن التاريخ ... لا يزيد على أخبار عن الأيام و الدول، و السوابق من القرون الأول، تنمى فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال... و في باطنه نظر و تحقيق و تعليل للكائنات و مبادئها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق).

فهو عبارة عن مجموعة من الأحداث والوقائع الفردية أو الجماعية، المرتبطة أو المنفصلة، والمتميزة بإحداث تأثيرات في حياة المجتمعات.¹

و **المنهج التاريخي**: هو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذٍ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة. وهو أيضاً ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرهما ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة؛ بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل.

كما يعرف، بأنه ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة.

¹ - بوعبيد عباسي، منهجية العلوم القانونية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، الطبعة الأولى، 2015، ص

ويمكن القول بأن المنهج التاريخي هو منهج بحث علمي يقوم بالبحث والكشف عن الحقائق التاريخية من خلال تحليل وتركيب الأحداث والوقائع الماضية المسجلة في الوثائق والأدلة التاريخية وإعطاء تفسيرات وتنبؤات علمية عامة في صورة نظريات وقوانين عامة وثابتة نسبياً.¹

أهمية المنهج التاريخي:

- أ - يمكن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.
- ب - يساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية.
- ج - يؤكد الأهمية النسبية للتفاعلات المختلفة التي توجد في الأزمنة الماضية وتأثيرها.
- د - يتيح الفرصة لإعادة تقييم البيانات بالنسبة لفروض معينة أو نظريات أو تعميمات ظهرت في الزمن الحاضر دون الماضي.

. خطوات تطبيق المنهج التاريخي:

يتبع الباحث الذي يريد دراسة ظاهرة حدثت في الماضي بواسطة المنهج التاريخي الخطوات التالية:

1 - تحديد المشكلة البحثية:²

أي تحديد مشكلة البحث التاريخية : يتطلب توضيح ماهية مشكلة البحث تناول خطوات الأسلوب العلمي في البحث، وهي: التمهيد للموضوع، وتحديده، وصياغة أسئلة له، وفرض الفروض، وأهداف البحث، وأهمية البحث، والإطار النظري للبحث، وحدوده، وجوانب القصور فيه، ومصطلحات البحث و تحديد الظاهرة أو الحادثة التاريخية المراد دراستها. ويتم هذا التحديد وفق نسقين محددتين:

¹ - عمار عوابدی ، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الثالثة ، 1999 ، ص 258.

² - ينظر محمد عبد الغني معوض ومحسن أحمد الحضيبي، المرجع السابق، ص 46.

البعد المكاني: للظاهرة كأن نقول الثورة الجزائرية. المجال الزمني: كأن نقول الثورة الجزائرية 1954م - 1962م.

وأهمية النتائج التي سيتوصل إليها الباحث.

2 - جمع المادة التاريخية وتصنيفها من أجل تحليلها :¹

وهذه الخطوة تتطلب مراجعة المصادر الأولية والثانوية، واختيار البيانات التي ترتبط بمشكلة بحثه. ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن على الباحث التمييز بين نوعي المصادر. إذ تتمثل المصادر الأولية في السجلات والوثائق، والآثار. وتتمثل المصادر الثانوية في الصحف والمجلات، وشهود العيان، والمذكرات والسير الذاتية، والدراسات السابقة، والكتابات الأدبية، والأعمال الفنية، والقصص، والقصائد، والأمثال، والأعمال والألعاب والرقصات المتوارثة، والتسجيلات الإذاعية، والتلفزيونية، وأشرطة التسجيل، وأشرطة الفيديو، والنشرات، والكتب، والدوريات، والرسومات التوضيحية، والخرائط.

3- نقد مصادر البيانات:²

وتتطلب هذه الخطوة فحص الباحث للبيانات التي جمعها بواسطة نقدها، والتأكد من مدى فائدتها لبحثه. ويوجد نوعان للنقد، الأول، ويسمى بالنقد الخارجي، والثاني، ويسمى بالنقد الداخلي. ولكل منهما توصيف خاص به على النحو التالي:

أ- النقد الخارجي:

ويتمثل في إجابة الباحث عن الأسئلة التالية:

هل كتبت الوثيقة بعد الحادث مباشرة أم بعد مرور فترة زمنية؟ هل هناك ما يشير إلى عدم موضوعية كاتب الوثيقة؟

¹ - ينظر محمد عبد الغني معوض ومحسن أحمد الحضيبي، المرجع السابق، ص 48.

² - ينظر هشام حسان، مرجع سابق، ص 55.

هل كان الكاتب في صحة جيدة في أثناء كتابة الوثيقة؟ هل كانت الظروف التي تمت فيها كتابة الوثيقة تسمح بحرية الكتابة؟ هل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط شخص آخر؟ هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذي كتب فيه؟

هل كتبت الوثيقة على مواد مرتبطة بالعصر أم على ورق حديث؟ هل هناك تغيير أم شطب أم إضافات في الوثيقة؟

ب- النقد الداخلي: ويتمثل في إجابة الباحث عن الأسئلة التالية:
ماذا تقول الوثيقة؟

لماذا علجت الوثيقة هذه المواضيع؟

في أي سياق تم إنتاج هذه الوثيقة بالرجوع إلى الفترة والمجتمع اللذين ظهرت فيهما هذه الوثيقة.¹

4. تسجيل نتائج البحث وتفسيرها:

وهذه الخطوة تتطلب من الباحث أن يعرض النتائج التي توصل إليها البحث تبعاً لأهداف أو أسئلة البحث مع مناقشتها وتفسيرها. وغالباً ما يتبع الباحث عند كتابة نتائج بحثه ترتيب زمني أو جغرافي أو موضوعي يتناسب ومشكلة البحث محل الدراسة.

- أدوات جمع المعلومات في المنهج التاريخي:²

- الملاحظة التحليلية الناقدة للمصادر التاريخية.

- تحليل للمادة التاريخية باستخدام الأجهزة والوسائل التكنولوجية للكشف عن صحة أو زيف المادة التاريخية.

¹ - موريس أنجريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيدي صحراوي وكمال بوشف وسعيد سبعون، دار القصة للنشر، الطبعة الثانية، ص 140، 141.

² - ينظر محمد عبد الغني معوض ومحسن أحمد الحضيري، المرجع السابق، ص 44-45.

-المقابلات الشخصية لشهود العيان والقنوات الناقلة للحوادث والاعخبار . -إستطلاعات الرأي والاستبيانات.

ثانياً: المنهج المقارن

يمثل المنهج المقارن في الدراسات القانونية أهمية كبيرة، إذ عن طريقه يطلع الباحث على التجارب القانونية للدول الأخرى، ومقارنتها بالنظم القانونية الوطنية وبيان ما بينهما من أوجه اتفاق أو اختلاف. والموازنة بين هذا وذاك، للتوصل إلى نتائج محددة تكون قابلة للتحقيق.

وهناك مجالات أكثر تكيفا مع المنهج المقارن مقارنة مع مجالات أخرى وأهم هذه المجالات:

1

1- دراسة النظم الاجتماعية في أبعادها المختلفة.

2- دراسة الأنظمة الاجتماعية الشمولية. (النموذج الاشتراكي مع الرأسمالي)

3- دراسة الثقافة والسلوك.

4- دراسة التنظيمات.

وإعمال المنهج المقارن قد يكون على المستوى الأفقي أو على المستوى الرأسي.

فعلى المستوى الأفقي: يمكن إجراء المقارنة بين نظامين قانونيين أو أكثر بصدد

تنظيم مسألة معينة، ومن الناحية المنهجية تتمثل المقارنة الأفقية في قيام الباحث بتناول المسألة التي يبحثها في كل نظام على حدة، فإذا انتهى منه، تناولها في النظام المقارن الثاني، أو الثالث...

فعلى سبيل المثال، إذا قام الباحث بالتصدي لبحث مقارن في أساليب اختيار رئيس الدولة في النظام الدستوري المصري وفي الشريعة الإسلامية؛ ففي هذا المثال تظهر المقارنة الأفقية عندما يذكر الباحث في القسم الأول، أساليب اختيار رئيس الدولة في النظام الدستوري المصري، وفي القسم الثاني، يبحث هذه الأساليب في الشريعة الإسلامية، فيوضح الموقف في كل نظام على حدة، مظهراً أوجه الاتفاق أو الاختلاف بينهما.

¹ - للتوسع أكثر يرجع إلى إبراهيم ابراش، المرجع السابق، ص 177 وما بعدها.

أما على المستوى الرأسي: فإن الأمر يختلف، حيث يلتزم الباحث بإجراء المنهج المقارن في كل جزئية من جزئيات المسألة التي يعرض لها في مختلف الأنظمة في آن واحد، ولا يعرض لموقف كل قانون على حدة.¹

فإذا أخذنا المثال السابق: فإن المنهج المقارن على المستوى الرأسي يعني دراسة كل جزئية تتعلق بخطة البحث في النظامين محل المقارنة، النظام الدستوري المصري والشريعة الإسلامية.

فمثلاً عند الحديث عن اختيار رئيس الدولة (تكوين هيئة الناخبين) يجب بحث الأمر في النظامين معاً، وفي موضع واحد مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بين النظامين. وكذلك عند الحديث عن طريقة اختيار رئيس الدولة، أو عزله من منصبه، فيجب دراسة الموضوع في النظامين وبأن واحد.

وغير خافٍ أن منهج المقارنة الرأسية أفضل كثيراً وأدق من مثيله على المستوى الأفقي، ومرد ذلك:

أن المقارنة الأفقية تؤدي إلى تكرار الأفكار وتشتتها، مما يقال هنا يعاد هناك، فضلاً عن أن الأمر في نهايته لا يخرج عن كونه دراستين منفصلتين لموضوع واحد في نظامين مختلفين، فكأن الباحث درس في المثال السابق، اختيار رئيس الدولة مرة في النظام الدستوري المصري ومرة أخرى في الشريعة الإسلامية.

أما المقارنة الرأسية فهي تؤدي إلى حسن إدراك أوجه الاتفاق والاختلاف في الأنظمة المقارنة، فضلاً عن منع تكرار الأفكار، وهو ما يؤدي في نهاية الأمر أن يكون البحث عظيم الفائدة للقارئ والباحث.

¹ صالح طليس، المرجع السابق، ص 41.

ومهما يكن من أمر، فإن المنهج المقارن . عموماً . في مجال الدراسات القانونية، يساعد على تصور الاقتراحات حول إصلاح وتعديل التشريعات القائمة، أو حول توحيد القانون بين عدة دول.

كما يساعد ذلك المنهج على زيادة إيضاح الحلول الواردة في القانون الوضعي، مما يقدم عوناً لمن يهيمه التعرف على أحكام قوانين البلاد المختلفة.

وحتى يؤتي المنهج المقارن ثماره في المجال القانوني، يلزم الباحث التحديد الدقيق لموضوع المقارنة، والقوانين التي ستتم المقارنة بينها. كما يلزمه أن يكون على علم ومعرفة كافية بلغة تلك القوانين.

كما يجب أن يختار عدداً محدداً منها حتى تأتي المقارنة دقيقة وفعالة، وأن تكون المراجع المتعلقة بموضوع المقارنة متوافرة لدى الباحث، بشكل يمكنه من إجراء الدراسة المقارنة، ويستحسن أن يكون النموذج المقارن المختار أكثر تقدماً من النظام الأصلي وذلك لتعظيم الفائدة من الدراسة المقارنة.

ثالثاً: المنهج التجريبي

للمنهج التجريبي أثر واضح في تقدم العلوم الطبيعية والذي يستطيع الباحث بواسطته أن يعرف أثر السبب (المتغير المستقل) على النتيجة (المتغير التابع). وعلى الرغم من النتائج الإيجابية التي أحرزها علماء السلوك من تطبيقهم للمنهج التجريبي إلا أن هنالك عقبات كثيرة لا تزال تقلل من أثره في تقدم العلوم السلوكية ، ومن أهم هذه العقبات على الإطلاق تعقد الظاهرة الإنسانية وصعوبة ضبط المتغيرات ذات الأثر عليها مما يزيد بالتالي في صعوبة قياس اثر السبب على النتيجة ، لذا لجأ علماء المنهجية للبحث عن منهج أكثر ملائمة للظاهرة الإنسانية فطبقوا المنهج الحقلي والذي يتطلب من الباحث معايشة الظاهرة المدروسة ، لكن بالرغم من أن المنهج الحقلي يتميز بشمولية النظرة للمتغيرات ذات الأثر ، إلا أنه لا يصلح ليكون بديلاً عن المنهج التجريبي وذلك لعدم توافر ضبط المتغيرات من جانب ، ولأنه يعني بالحاضر ودراسة الوقائع فقط دون محاولة لدراسة المستقبل وماذا يؤول إليه الأمر من جانب آخر .

مفهومه :

يذكر العساف أن المنهج التجريبي هو المنهج الذي يستطيع الباحث بواسطته أن يعرف أثر السبب (المتغير المستقل) على النتيجة (المتغير التابع).¹ بينما يعرفه البياتي بأنه: (ذاك النوع من البحوث الذي تتم فيه السيطرة على المتغيرات ويتحقق ذلك باختيار مجموعة من الأفراد يتم تقسيمها بشكل عشوائي إلى مجموعتين أو أكثر تسمى المجموعة أو المجموعات الأولى التجريبية وتسمى المجموعة الأخرى بالمجموعة الضابطة).² فوه استخدام التجربة في اثبات الفروض، أو اثبات الفروض عن طريق التجريب.

¹ ابتسام ناصر بن هويل ، المنهج التجريبي، جامعة الرياض، السعودية، 1434/1433 هـ، ص 06.

² ابتسام ناصر بن هويل، المرجع السابق، ص 06.

المصطلحات المتعلقة بالعوامل المؤثرة :

- العامل المستقل (العامل أو المتغير التجريبي) : هو العامل الذي نريد أن نقيس مدى تأثيره على الموقف

-العامل التابع (العامل أو المتغير الناتج) : هو العامل الذي ينتج عن تأثير العامل المستقل .

- ضبط العوامل : إبعاد أثر جميع العوامل الأخرى عدا العامل التجريبي بحيث يتمكن الباحث من الربط بين العامل التجريبي وبين العامل التابع أو الناتج .

المصطلحات المتعلقة بمجموعة الدراسة :

- المجموعة التجريبية : هي المجموعة التي تتعرض للمتغير التجريبي (المستقل) لمعرفة تأثير هذا المتغير عليها .

- المجموعة الضابطة :¹

وهي التي لا تتعرض للمتغير التجريبي ، وتكون تحت ظروف عادية ، وفائدة هذه المجموعة للباحث أن الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة ناتجة عن المتغير التجريبي التي تعرضت له المجموعة التجريبية وهي أساس الحكم ومعرفة النتيجة .

ضبط المتغيرات :

- يتأثر العامل التابع بعوامل متعددة غير العامل التجريبي ولذلك لا بد من ضبط هذه العوامل وإتاحة المجال للمتغير التجريبي وحده بالتأثير على المتغير التابع ، ويتأثر المتغير التابع بخصائص الأفراد الذي تجرى عليهم التجربة لذا يفترض أن يجري الباحث تجربته على مجموعتين متكافئتين بحيث لا يكون هنالك أية فروق بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية إلا دخول المتغير التجريبي ، كما أن المتغير التابع يتأثر بإجراءات التجربة لذا فمن المفروض أن يميل الباحث إلى ضبط هذه الإجراءات بحيث لا

¹ مروان عبد المجيد ابراهيم، المرجع السابق، 145.

تؤدي إلى تأثير سلبي أو إيجابي على النتيجة ، كما أن المتغير التابع يتأثر بالظروف الخارجية مثل درجة الحرارة والتهوية والإضاءة... الخ ولذلك لا بد من ضبط هذه المتغيرات بغية تحقيق الأهداف التالية :

1- عزل المتغيرات

- فالباحث أحياناً يقوم بدراسة أثر متغير ما على سلوك الإنسان ، وهذا السلوك يتأثر أيضاً بمتغيرات وعوامل أخرى ، وفي مثل هذه الحالة لا بد من عزل العوامل الأخرى وإبعادها عن التجربة .

2- تثبيت المتغيرات

-إن استخدام المجموعات المتكافئة يعني أن الباحث قام بتثبيت جميع التغيرات المؤثرة، لأن المجموعة التجريبية تماثل المجموعة الضابطة وما يؤثر على إحدى المجموعتين يؤثر على الأخرى ، فإذا أضاف الباحث المتغير التجريبي فهذا يميز المجموعة التجريبية فقط .

3- التحكم في مقدار المتغير التجريبي

-يستخدم الباحث هذا الأسلوب من الضبط عن طريق تقديم كمية أو مقدار معين من المتغير التجريبي ، ثم يزيد من هذا المقدار أو ينقص منه لمعرفة أثر الزيادة أو النقص على المتغير التابع .

أنواع التجارب :

تتنوع التجارب حسب طريقة إجرائها ، وفي ما يلي توضيح لهذه الأنواع:

1. التجارب المعملية وغير المعملية :

- التجارب المعملية هي التي تتم داخل المختبر أو المعمل في ظروف صناعية خاصة تصمم لأغراض التجارب ، ويتميز هذا النوع من التجارب بالدقة وسهولة إعادة إجراء التجربة أكثر من مرة للتأكد من صحة النتائج .

- أما التجارب غير العملية فتتم في ظروف طبيعية خارج المختبر ، وغالباً ما تجرى على الأفراد ومجموعات من الناس حيث يصعب إدخالهم المختبر ، ونظراً لكونها تتم في ظروف طبيعية فهي أكثر صعوبة وأقل دقة .

2. تجارب تجرى على مجموعة واحدة وتجارب تجرى على أكثر من مجموعة .

- حيث تجرى على مجموعة واحدة من الأفراد لمعرفة أثر عامل مستقل معين عليها ، وتدرس حالة الجماعة قبل وبعد تعرضها لتأثير هذا العامل المستقل أو التجريبي عليها، فيكون الفرق في الجماعة قبل وبعد تأثرها بالعامل التجريبي ناتجاً عن هذا العامل .

3. تجارب قصيرة وتجارب طويلة

- قد تكون التجارب طويلة تحتاج لوقت طويل كأن تدرس تأثير التقلبات الجوية على مادة معينة ، أو أثر خضوع الوالدين لبرامج التوجيه التربوي على تعديل سلوك ابنائهم المراهقين ، ومثل هذه التجارب تتطلب وقتاً طويلاً يتحدد بالفترة اللازمة لمرور التقلبات الجوية أو الفترة اللازمة لبرامج التوجيه التربوي .

- وقد تتم التجارب في فترة زمنية قصيرة كأن يدرس أثر فيلم سينمائي معين على السلوك العدوانى للأطفال ، حيث يمكن تصميم تجربة في فترة زمنية قصيرة .

أنواع التصميمات التجريبية

1-أسلوب المجموعة الواحدة¹

يستخدم هذا الأسلوب مجموعة واحدة فقط ، تتعرض لاختبار قبلي لمعرفة حالتها قبل إدخال المتغير التجريبي ، ثم نعرضها للمتغير ونقوم بعد ذلك بإجراء اختبار بعدي ، فيكون الفرق في نتائج المجموعة على الاختبارين القبلي والبعدي ناتجاً عن تأثرها بالمتغير التجريبي .

¹ مروان عبد المجيد ابراهيم، المرجع السابق، 142.

2- أسلوب المجموعات المتكافئة¹

أي استخدام أكثر من مجموعة ، ندخل العامل التجريبي على المجموعة التجريبية وتترك الأخرى في ظروفها الطبيعية ، وبذلك يكون الفرق ناتجاً عن تأثير المجموعة التجريبية بالعامل التجريبي ، ويشترط أن تكون المجموعات متكافئة تماماً .

3-أسلوب تدوير المجموعات

حين يريد الباحث أن يقارن بين أسلوبين في العمل أو بين تأثير متغيرين مستقلين فإنه يميل إلى استخدام أسلوب تدوير المجموعات ، ويقصد بهذا الأسلوب أن يعمل الباحث على إعداد مجموعتين متكافئتين ويعرض الأولى للمتغير التجريبي الأول والثانية للمتغير التجريبي الثاني ، وبعد فترة يخضع الأولى للمتغير التجريبي الثاني ويخضع المجموعة الثانية للمتغير التجريبي الأول ، ثم يقارن بين أثر المتغير الأول على المجموعتين وأثر المتغير الثاني على المجموعتين كذلك ، ويحسب الفرق بين أثر المتغيرين .

متى وكيف يطبق المنهج التجريبي :

يتم تطبيقه عندما يكون الهدف من البحث التنبؤ بالمستقبل حول أي تغيير إصلاحي يجب تطبيقه على الظاهرة المدروسة سواء كان تغييراً وقائياً أو تغييراً علاجياً، وتختلف خطوات تطبيق المنهج التجريبي باختلاف تصميمه ، ويمكن تصميم البحث عبر عدة خطوات هي :

1. تحديد مجتمع البحث ومن ثم اختيار عينة منه بشكل عشوائي تتفق في المتغيرات الخارجية المراد ضبطها .
2. اختبار عينة البحث اختباراً قبلياً في موضوع البحث .
3. تقسيم عينة البحث تقسيماً عشوائياً إلى مجموعتين .

¹ مروان عبد المجيد ابراهيم، المرجع السابق، 143.

4. اختيار إحدى المجموعات عشوائياً لتكون المجموعة الضابطة والأخرى المجموعة التجريبية .

5. تطبيق المتغير المستقل على المجموعة التجريبية وحجبه عن المجموعة الضابطة .

6. اختبار عينة البحث في موضوع التجربة اختباراً بعدياً .

7. تحليل المعلومات وذلك بمقارنة نتائج الاختبارين قبل وبعد .

8. تفسير المعلومات في ضوء أسئلة البحث أو فروضه .

9. تلخيص البحث وعرض أهم النتائج التي توصل إليها الباحث وما يوصي به من توصيات .

مميزات المنهج التجريبي : يعتبر المنهج التجريبي من أكثر المناهج كفاءة ودقة وهذا

يرتبط بمجموعة من المميزات التي يتمتع بها هذا المنهج منها:¹

1. دقة النتائج التي يمكن التوصل إليها.

2. يسمح بتكرار التجربة في ظل نفس الظروف مما يساعد على تكرارها من

قبل الباحث نفسه، أو من طرف باحثين آخرين للتأكد من صحة النتائج.

3. إمكانية استخدامه للتنبؤ بما سيحدث في المستقبل .

عيوب المنهج التجريبي :

1. يجرى التجريب في العادة على عينة محدودة من الأفراد وبذلك يصعب تعميم

نتائج التجربة إلا إذا كانت العينة ممثلة للمجتمع الأصلي تمثيلاً دقيقاً.

2. التجربة لا تزود الباحث بمعلومات جديدة إنما يثبت بواسطتها معلومات

معينة ويتأكد من علاقات معينة .

3. دقة النتائج تعتمد على الأدوات التي يستخدمها الباحث.

¹ ابتسام ناصر بن هويل، المرجع السابق، ص 26.

4. كذلك تتأثر دقة النتائج بمقدار دقة ضبط الباحث للعوامل المؤثرة علماً بصعوبة ضبط العوامل المؤثرة خاصة في مجال الدراسات الإنسانية .
5. تتم التجارب في معظمها في ظروف صناعية بعيدة عن الظروف الطبيعية ولا شك أن الأفراد الذين يشعرون بأنهم يخضعون للتجربة قد يميلون إلى تعديل بعض استجاباتهم لهذه التجربة .
6. يواجه استخدام التجريب في دراسة الظواهر الإنسانية صعوبات أخلاقية وفنية وإدارية متعددة .
7. إن شيوع واستخدام أسلوب تحليل النظم وانتشار مفهوم النظرة النظامية وجهت اهتمام الباحثين إلى أن العوامل والمتغيرات لا تؤثر على الظاهرة على انفراد بل تتفاعل هذه العوامل والمتغيرات وتترابط في علاقات شبكية بحيث يصعب عزل أثر عامل معين على انفراد .

رابعاً: المنهج الوصفي

إنه من المناهج التي يكثر استعمالها في مجال بحوث التربية البدنية والرياضية وبهذا المجال يذكر سكاتش (scates) في معرض حديثه عن الدراسات الوصفية بقوله: (يراد بالدراسات الوصفية ما يشمل جميع الدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة وبوضع جماعة من الناس أو عدد من الأشياء أو مجموعة من الظروف أو فصلية من الأحداث أو نظام فكري. أو أي نوع من الظواهر التي يمكن أن يرغب الشخص في دراستها).¹ أما هويثي فإنه يتفق تقريباً مع التعريف السابق إذ يقول: (أن الدراسة الوصفية هي التي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الأوضاع).²

عندما يريد الباحث دراسة ظاهرة ما فإن أول شئ يقوم به هو وصف هذه الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها ، وهذا المنهج يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد فعلاً بالواقع كما يهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً ، بحيث يصف التعبير الكيفي الظاهرة ويوضح خصائصها ، أما التعبير الكمي فيعطي وصفاً رقمياً بحيث يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى .

بدأ هذه الأسلوب في البحث في القرن الثامن عشر ميلادي ، حيث قامت دراسات لوصف حالة السجون الإنجليزية بالمقارنة مع السجون الفرنسية والألمانية ، ونشطت هذه الدراسات في القرن التاسع عشر حيث ركزت الدراسات الاجتماعية التي قام بها فردريك لو بلاي (f . pley) بإجراء دراسات تصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة في فرنسا مستخدماً في ذلك الاستبيان والمقابلة ، كما أن ظهور الآلات الحاسبة في القرن

¹ - مروان عبد المجيد ابراهيم، المرجع السابق، 125.

² - مروان عبد المجيد ابراهيم، المرجع نفسه، 125.

العشرين ساهم في تطور أسلوب البحث الوصفي ، وقد ارتبط البحث الوصفي منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية ، وما زال هذا الأسلوب الأكثر استخداماً في الدراسات الإنسانية وذلك لصعوبة استخدام المنهج التجريبي في المجالات الإنسانية ، وتبرز أهمية هذا الأسلوب الوصفي في كونه الأسلوب الوحيد الممكن لدراسة بعض الموضوعات الإنسانية .

وقد اختلف علماء المنهجية في تحديد مفهوم المنهج الوصفي أشد من اختلافهم في تحديد مفهوم أي منهج آخر، ويعزى هذا الاختلاف لعدم اتفاقهم أساساً على الهدف الذي يحققه هذا المنهج، هل هو مجرد للظاهرة المدروسة أم أنه يتجاوز الوصف إلى توضيح العلاقة ومقدراها ومحاولة اكتشاف الأسباب الكامنة وراء الظاهرة.

ويشمل المنهج الوصفي على مجموعة من أساليب البحث العلمي التي تستخدم من قبل الباحثين ومنها أسلوب البحث ودراسة الحالة وتحليل المحتوى...

01: منهج المسح الاجتماعي

يعتبر منهج المسح الاجتماعي من أشهر مناهج البحث وأكثرها استخداماً في الدراسات الوصفية، حيث يهتم بدراسة الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها في مجتمع معين.¹

خاصة وأنه يوفر الكثير من البيانات والمعلومات عن موضوع الدراسة ويعتبر المسح أكثر طرق البحث الاجتماعي والتربوي استعمالاً، ذلك لأننا بواسطته نجمع وقائع ومعلومات موضوعية عن ظاهرة معينة أو حادثة مخصصة أو جماعة من الجماعات أو ناحية من النواحي) صحية، تربوية، اجتماعية... الخ. (ويعرف المسح بأنه عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة في جماعة معينة وفي مكان معين وفي الوقت الحاضر، دون الخوض في تأثير الماضي والتعمق في هذا الماضي، كما أنها تدرس الظواهر كما هي دون تدخل

¹ - أحمد بدر، المرجع السابق ، ص 289.

الباحث فيها والتأثير على مجرياتها. وفي المسح الاجتماعي يتم جمع بيانات مقننة من مجتمع البحث، وتعد الاستبيان والمقابلات المقننة أكثر الأساليب استخداماً في تنفيذ المسوح الاجتماعية. ويتمثل الغرض الرئيسي من إجراء المسح في إنتاج بيانات تشكل أساساً للتعميم حول مجتمع المسح أو الجماعات المستهدفة.

وتستخدم الدراسات المسحية أيضاً لاكتشاف العلاقات الارتباطية بين المتغيرات، مثلاً قد يحاول باحث اكتشاف العلاقة بين متغيرات السن والدين والمستوى الثقافي والحاجة الاقتصادية وتفكك العائلة وبين نسب الطلاق في مدينة ما.

والمسوح الاجتماعية نوعين رئيسيين، هما: **المسح الشامل** حيث تجمع معلومات شاملة حول جوانب الظاهرة المدروسة من جميع وحدات البحث سواء أكانت أفراداً أو جماعات. و**المسح بالعينة**، وهو أكثر استخداماً وشيوعاً من المسح الشامل، وذلك لقلّة تكاليفه نسبياً، وإمكانية الحصول على نتائج ممثلة، أي يمكن تعميمها على جميع وحدات مجتمع الدراسة. والباحث في هذا النوع يكتفي بدراسة عدد محدود من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانات المتوفرة لدى الباحث.

ولدراسات المسح الاجتماعي ميزة أساسية، كونها تمثل أسلوباً ناجحاً في دراسة الظواهر والأحداث الاجتماعية التي يمكن جمع معلومات وبيانات نوعية وكمية عنها، وفي كونها وسيلة لقياس أو إحصاء الواقع لوضع الخطط وتطويرها. أي أن منهج المسح الاجتماعي يتناسب مع الدراسة الكمية للظاهرة الاجتماعية.

ومنذ القرن الثامن عشر اشتهر عدد من الباحثين نتيجة قيامهم بدراسات مسحية اجتماعية، خدمت مجتمعاتهم وساعدت على التعرف على العديد من القضايا الاجتماعية وإيجاد حلول

لها. ومن أهم هذه الدراسات دراسة جون هارد (John Haward) عام 1774 الذي قام بوضع دراسة عن وضعية السجون والمسجونين في بريطانيا.¹

أما عيوب المسح الاجتماعي فهي:

1- إن الدراسات المسحية تهتم بالشمول أكثر مما تهتم بالعمق، فالباحث الذي يقوم بعملية المسح الاجتماعي يهتم بدراسة آراء الناس ومواقفهم المعلنة دون أن يهتم بالتحليل أو بالتعميق في دراسة العوامل التي تؤدي إلى هذه الآراء والمواقف.

2- يرى بعض الباحثين إن الدراسات المسحية لا تعطي الباحث مرونة كافية لاستيعاب الظاهرة، كما قد يجدها في الواقع، وذلك لأن الباحث يعد مسبقاً أدوات بحثة كالاستبيان مثلاً قبل أن يبدأ عملية المسح، وبذلك يقيد نفسه في أسئلة الاستبيان فقط، مما قد يؤدي إلى إغفال بعض المعلومات التي يستوعبها الاستبيان، غير أن هذا النقد يمكن أن تقل أهميته كثيراً إذا كان الباحث قد أعد استبيانه بعد فترة كافية من الدراسة والملاحظة، كما يستطيع

الباحث أن يعزز المعلومات التي يحصل عليها من الاستبيان باستخدام أدوات أخرى كالمقابلة أو الملاحظة.²

3- من عيوب المسح الاجتماعي أيضاً الخطأ الذي يقع فيه الباحث أثناء اختيار العينة، ومعنى هذا أنه لو حدث خطأ في اختيار العينة، فإن هذا الخطأ سيلحق بالمسح كله ويؤثر عليه ويترتب على ذلك أن أي تفسير للبيانات التي تتوافر في هذا المسح يجب أن يقوم على أساس هذا الخطأ في اختيار العينة وكذلك على الصدفة الناتجة عن ذلك.

¹ - إبراهيم ابراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، 2009، ص 160.

² - ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي، مفهومه وأدواته وأساليبه، ص 207.

02: منهج دراسة الحالة

يختلف علماء المناهج في تحديد دراسة الحالة، هل هي منهج ضمن مناهج البحث أم أنها إحدى الطرق التي عن طريقها يتم إجراء بحث معين، أو يمكن اعتبارها إحدى أدوات جمع البيانات يذهب قاموس علم الاجتماع إلى أن دراسة الحالة منهج في البحث، (Fairchild) الذي وضعه فايرشايلد الاجتماعي عن طريقه يمكن جمع البيانات ودراستها، بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقاتها المتنوعة وأوضاعها الثقافية. ويؤكد كل من جود (Goode) وهات (Hatt) على أن دراسة الحالة منهج يقوم على أساساً على دراسة الوحدات الاجتماعية بصفاتها الكلية،¹ وهي بحث متعمق في العوامل المعقدة والمتعددة والتي تسهم في تشكل وحدة اجتماعية ما، وذلك بالاستعانة بأدوات البحث الضرورية لتجميع البيانات.² ودراسة الحالة هي الدراسة التي تهتم بحالة فرد أو جماعة أو مؤسسة يصعب على الباحث استخدام المناهج الأخرى من أجل جمع معلومات عن (أفراد مجتمع الدراسة بأسلوب معمق) ولا يؤخذ بهذه الطريقة جميع تخصصات علم الاجتماع، فعلم الإجرام وعلم النفس الاجتماعي يأخذان بها، بينما علم السكان أو علم الاجتماع الحضري لا يأخذان به. ويستعمل منهج دراسة الحالة بكثرة في ميداني الطب وعلم النفس، أو دراسة مجموعات صغيرة من أفراد المؤسسات الإصلاحية كالسجون وإصلاحيات الأحداث ودور الرعاية، وكما يمكن الجمع بين الدراسة الكمية والكيفية في هذا المنهج. ودراسة الحالة نوع من الدراسات الوصفية، أو أسلوباً من أساليب البحث الوصفي، يزود الباحث ببيانات كمية وكيفية عن عوامل متعددة تتعلق بفرد أو مؤسسة أو أسرة أو عدد قليل من الأفراد أو نظاماً اجتماعياً وحالات محددة. وتتضمن هذه البيانات جوانب شخصية

1- ابراهيم ابراش، المرجع السابق، ص 162.

2- ابراهيم ابراش، المرجع السابق، ص 161.

وبيئية ونفسية وغيرها، مما يمكن الباحث من إجراء وصف تفصيلي متعمق للحالة موضوع الدراسة.

وإذا كان موضوع الدراسة منصباً على المؤسسات الاجتماعية، فإن كل مؤسسة إجتماعية تعتبر بمثابة حالة، بينما يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخلية في تكوين الحالة.

ويعتقد بعض العلماء في البحث الإجتماعي بأن منهج دراسة الحالة قد يدرس مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو يدرس جميع المراحل التي مرت بها للوصول إلى التعميمات العلمية المتعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها.

ومن أدوات هذا المنهج أو إجراءاتها كما هو الحال في مناهج البحث الأخرى، المقابلة الشخصية ودراسة الوثائق والسجلات الرسمية والمذكرات الشخصية وتقارير الأطباء وملاحظات الجهاز الاصلاحي داخل المؤسسة وهوايات المبحوثين، وكذلك الملاحظة، الفحوص والاختبارات. هذه الإجراءات هي متطلبات أو تقنيات دراسة الحالة.

الانتقادات الموجهة الى منهج دراسة الحالة:

على الرغم من أهمية طريقة دراسة الحالة في البحث الاجتماعي. إلا أن هذه الطريقة قد وجهت إليها عدة اعتراضات تضع حدوداً معينة، لاستخدامها في البحوث الاجتماعية، ويمكن حصر أهم العيوب والانتقادات التي تؤخذ على منهج دراسة الحالة كما يلي:

1- يوجه النقد إلى الأدوات المستخدمة في جمع البيانات كتاريخ الحياة وغيرها من السجلات الشخصية ومن الممكن الاعتماد على مصادر رسمية والإحصاءات الرسمية والسجلات الموثوق بصحتها.

2- صعوبة تعميم النتائج في منهج دراسة الحالة، لان طبيعة الحالة انفرادية فمن الصعب

أن تكون أساساً للتعميم. فكل حالة تختلف عن غيرها من الحالات.¹

¹ - أحمد بدر، المرجع السابق، ص 315.

3- وجود عنصر الذاتية والحكم الشخصي في إختيار الحالات وفي تجميع البيانات .

أي إنه يفنقر إلى الموضوعية.¹

4- عدم صحة البيانات المجمعّة أحياناً، لان الشخص المبحوث قد يتعاطف مع الباحث بالمعلومات التي يرى أنها ترضي القائم على البحث وليس بالضرورة كما حدثت وقد يندفع إلى المبالغة والتركيز على الجوانب التي تدعم موقفه ويتجنب الجوانب التي تتناقض معه. وعلى كل حال فمعظم هذه الإنتقادات، لا يختص بها منهج دراسة الحالة من دون مناهج البحث الإجتماعي الاخرى، رغم ذلك فقد اثبتت دراسة الحالة في الوقت الحاضر فعاليتها وقيمتها في مجالات متعددة كالتعليم والاجتماع، وما يبدو مؤكداً أننا نتمكن من رؤية العلاقة بين العوامل المعزولة بصورة أكثر وضوحاً من مجرد التحليل الكمي وأخيراً، فان طريقة دراسة الحالة هي مدخل ينظر إلى أي وحدة إجتماعية نظرة كلية شاملة تستوعب تطور هذه الوحدة ونموها، سواء كانت تلك الوحدة شخصاً أو أسرة... الخ.، وتعتمد هذه الطريقة لتحقيق تلك النظرة الكلية على جمع أكبر عدد من المعلومات والبيانات عن الوحدة المدروسة للوصول إلى النتائج المتعمقة للوحدة. كما يمكن أن يصل الباحث إلى تعميمات تنطبق على الحالات المشابهة من خلال دراسة عدد من الحالات وتجميع المعلومات عنها ووضع فرضياته واختبارها والتوصل إلى النتائج المتعلقة بشأنها.

¹ - أحمد بدر، المرجع السابق ، ص 315 .

03: منهج تحليل المضمون

وهو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر لمضمون الاتصال وهذا حسب برنارد بيرلسون (Bernard Berelson)، أو هو وسيلة للقيام باستنتاجات عن طريق التحديد المنظم والموضوعي لسمات معينة في الرسائل الاتصالية.

تحليل المضمون (هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية متنوعة، وعلى الأخص في دراسات علم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون . ويستخدم أيضاً في الدراسات التربوية والنفسية والسياسية أكثر مما يستخدم في الدراسات الإجتماعية، لأن الدراسات الإجتماعية تعتمد على منهج المسح الميداني والمنهج المقارن ومنهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة أكثر مما تعتمد على منهج تحليل المضمون. ومع ذلك يستخدم تحليل المضمون في الأبحاث والدراسات الإجتماعية التي يصعب مقابلة وحداتها نظراً لوفاتها أو غيابها أو بعدها الجغرافي أو ارتفاع مكانتها الإجتماعية والسياسية . لذا يضطر الباحث الإجتماعي في مثل هذه الحالات استخدام الوثائق والسجلات والمستندات والمذكرات والمقالات والصحف وغيرها من أجل التوصل إلى الحقائق والبيانات عن موضوع البحث المزمع إجراءه.¹

خطوات تحليل المضمون:

يتطلب تحليل المضمون اتخاذ خطوات معينة لضمان نتائج علمية:

1- على الباحث أن يقرر ما يريد دراسته مثل مقدار العنف المشاهد في التلفزيون أو القيم الاجتماعية التي تبثها أفلام الكارتون.....الخ.

¹ - احسان محمد الحسن، مناهج البحث الإجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، . عمان، الطبعة الأولى، 2005، ص162.

- 2- على الباحث أن يقرر وحدة التحليل، كالكلمة أو الفكرة أو الشخصيات.
- 3- على الباحث أن يحدد طبيعة الفئات التي سوف يجري التحليل بموجبها.
- 4- على الباحث أن يقرر المجتمع الذي يدرسه والعينة التي يختارها.
- 5- على الباحث أن يقرر كيفية معالجة بيانات إحصائية لاستخلاص النتائج.

خصائص تحليل المضمون:

- أسلوب يعتمد تكرارات ورود الكلمات أو الجمل أو المعاني الواردة في قوائم التحليل في المادة الإعلامية.
- يتم التحليل للجوانب الموضوعية والشكلية.
- اعتماد الأسلوب الكمي بهدف التحليل الكيفي على أسس موضوعية.
- ارتباط عملية التحليل بالمشكلة البحثية وفروضها.¹

مزايا وعيوب تحليل المضمون:

يمتاز أسلوب تحليل المضمون بعدد من المزايا هي:

- 1- إن عدم الإتصال المباشر بالمصادر البشرية يمكن أن يقلل من احتمال تدخل ذاتي للمصدر البشري الذي يقدم المعلومات، أو يقلل من إمكان وقوع هذا المصدر في أخطاء مقصودة أو غير مقصودة.
- 2- لا يؤثر الباحث في المعلومات التي يقوم بتحليلها فتبقى كما هي قبل وبعد إجراء الدراسة.
- 3- هناك إمكانية لإعادة إجراء الدراسة مرة ثانية ومقارنة النتائج مع المرة الأولى لنفس الظاهرة أو مع نتائج دراسة ظواهر وحالات أخرى.

ورغم هذه المزايا إلا أن استخدام هذا الأسلوب لا يخلو من بعض العيوب مثل:

- 1- كون بعض الوثائق التي يحللها الباحث ليست واقعية، بل تمثل صورة مثالية.

¹ - إبراهيم ابراش، المرجع السابق، ص 164.

- 2- قد لا يستطيع الباحث الإطلاع على بعض الوثائق الهامة والتي تتسم بطابع السرية.
- 3- قد تكون بعض الوثائق محرفة أو مزورة، مما يؤدي إلى نتائج خاطئة بعد تحليلها.
- 4- لا يمتاز هذا المنهج بالمرونة حيث يكون الباحث مقيدا بالمادة المدروسة...¹
- 4- صعوبة تعميم النتائج وذلك يرجع لخصوصية كل حالة وصعوبة تعميمها على حالات أخرى وإن كانت مشابهة لها.²

خامسا: المنهج الاستقرائي

يسمى هذا المنهج بالمنهج التأسيلي، وأحيانا بالتجريبي، ويعني هذا الأسلوب باستقراء الأجزاء ليستدل منها على الحقائق تعمم على الكل باعتبار أن ما يسري على الجزء يسري على الكل. فجوهر المنهج الاستقرائي هو الانتقال من الجزئيات إلى الكليات أو من الخاص إلى العام.³

وليس هناك إلا تشابه لفظي بين صياغة الطرائق الاستقرائية للعلم القديم وللعلم الحديث على التوالي. فكلاهما يبدأ من معطيات مبعثرة أو جزئيات ثم يتحرك نحو تكوين التعميمات ولكن التشابه بينهما لا يجاوز الصيغة الغامضة التي تقول: (السير من الجزئيات إلى ما هو عام).⁴

و أصل كلمة استقراء يوناني وهي ترجمة للكلمة اليونانية (ehay wyn) ومعناها يقود، والمقصود بها قيادة العقل للقيام بعملية تؤدي إلى الوصول إلى قانون أو مبدأ أو قاعدة أو قضية كلية تحكم الجزئية التي تخضع لإدراكنا الحسي.⁵

1- حسان هشام، المرجع السابق، ص 72.

2- ابراهيم ابراش، المرجع السابق، ص 163.

3- طاليس، المرجع السابق، ص 32.

4- جون ديوي، المنطق نظرية البحث، ترجمة زكي نجيب محمود، المركز القومي للتجربة، القاهرة، 2011، ص 653.

5- عمار بوحوش . محمد ذنبيات، المرجع السابق، ص 47.

أي يقوم البحث بعملية ملاحظات الجزئيات والحقائق الفردية التي تساعد في تكوين إطار لتكوين نظرية يمكن تعميمها فيما بعد. وقد أخذ سقراط بهذا الأسلوب. وتعرف على نوعين منه: الاستقراء التام والاستقراء الحدسي، لكن عملية الاستقراء أخذت معنى أكثر دقة وتحديداً عند هيوم david hume الذي لخصها بأنها: (قضايا جزئية تؤدي إلى وقائع أو ظواهر . وتعتبر مقدمة إل قضايا عامة ويمكن اعتبارها نتيجة تشير إلى ما سيحدث).¹

والمنهج الاستقرائي يستمد مقومات بنائه من استقراء الوقائع ولهذا الاتجاه أساسه الرياضي، حيث يعتمد التنبؤ والتفسير، على الاستنتاج من الجزء وصولاً إلى الكل 3. فهذا المنهج معروف بهذا الاسم في مجال العلوم الطبيعية، وبعض العلوم الاجتماعية كعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع. وفي مجال العلوم القانونية، يعبر عن المنهج الاستقرائي عادةً بالمنهج التأسيلي. ولعل أهم مجالاته ما يتعلق باستقراء اتجاهات أحكام القضاء في موضوع معين لبيان القاعدة التي تحكم الموضوع. فكأن المنهج الاستقراء، أو في مفهوم القانون المنهج التأسيلي، يمر فيه الباحث بعدة مراحل²:

مرحلة تقصي ظاهرة معينة وفحصها، ومرحلة وصف تلك الظاهرة وتفسيرها، والانتقال من المظاهر

الخارجية للظاهرة محل الدراسة إلى مظاهرها الداخلية، وإيجاد العلاقة بين السبب والمسبب، لينتهي إلى تقرير الحقيقة العامة التي تحكم تلك الظاهرة. كل هذا على عكس المنهج الاستنباطي. ومن خلال ذلك، فإن المنهج الاستقرائي أصبح مطبقاً بشكل واسع من قبل مفكري العصر الحديث في مجال القانون الدستوري خصوصاً والعلوم الاجتماعية عموماً. وينقسم الاستقراء إلى نوعين رئيسيين هما: أساس

¹ طاليس، المرجع السابق، ص 32.

² مجموعة من المؤلفين، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. 2019، ص 120.

أولاً: الاستقراء التام: وسمي بالاستقراء التام لأنه استقراء يقيني على أساس أنه يعتمد على استقراء لجميع جزئيات موضوع البحث أي أنه عبارة عن انتقال الفكر من الحكم الجزئي للأشياء إلى الحكم الكلي.¹

كما لو أردنا أن نعرف هل من بين الطلبة في السنة الأولى طلابا افريقيين فإننا نستقرأ كل طالب موجودا في القاعة استقراء كاملا حتى ننتهي إلى نتيجة.

ثانياً: الاستقراء الناقص: وسمي بالاستقراء الناقص لأنع يعتمد على تفحص فقط بعض جزئيات الظاهرة وليس لكل جزئياتها وفيه ينتقل الفكر من الحكم على بعض جزئيات الظاهرة إلى الحكم على جميع جزئياتها.²

كما لو أراد العلم الكيمياوي معرفة مدى تأثير الضغط على الغازات فإنه يجري التجربة على بعض الغازات وعندما يرى أنه كلما زاد الضغط على هذه الجزئيات موضوع التجربة قل حجمها وكلما نقص الضغط زاد حجمها بنسبة معينة تحت درجة حرارة معينة. فيضع قاعدة عامة: كل غاز إذا زاد الضغط عليه قل حجمه وإذا نقص الضغط زاد حجمه بنسبة معينة تحت درجة حرارة.

1 رشيد زرواتي، مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية دار الهدى، 2007، ص 72.

2 رشيد زرواتي، المرجع السابق، ص 73.

سادسا: المنهج الاستدلالي

والاستدلال هو: (البرهان الذي يبدأ من قضايا مسلم بها (بديهية) ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون اللجوء إلى التجربة وهذا السير يكون بواسطة القول أو الحساب).¹

وذلك مثل العمليات الحسابية التي يقوم بها أستاذ الرياضيات دون إجراء تجارب. والاستدلالات التي يستعملها القاضي اعتمادا على ما لديه من قضايا ومبادئ قانونية.²

مبادئ الاستدلال:³

يقصد بها القضايا الأولية غير مستنتجة من غيرها وهي تعتبر نقطة البداية لكل استدلال ويقسم رجال المنطق مبادئ الإستدلال إلى:

-

أ- **البديهيات:** تعرف البديهية بأنها قضية بينة بذاتها وليس من الممكن أن يبرهن عليها، إذ تعد صادقة بلا برهان، عند كل من يفهم معناها مثال: جوهر القانون يمثل المثل الأعلى للعدل.

من خلال هذا التعريف يمكن أن نستنتج خصائصها: البديهية بينية بذاتها تتبين للعقل تلقائيا دون الحاجة إلى برهان - قضية أولية غير مستنبطة من غيرها من القضايا مثل البديهيات التي جاء بها إقليدس.

¹ بدوي، المرجع السابق، ص 82.

² طاليس، المرجع السابق، ص 32.

³ عوابدي عمار ، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية، د م ج، 2005، ص 179 وما بعدها.

ب- **المسلمات (المصادر):** المسلمة هي فكرة يصادر على صحتها مع عدم بيانها بوضوح للعقل ولكننا نتقبلها نظرا لفائدتها ولأن صحتها لا تؤدي إلى تناقض ومن خلال هذا التعريف نستنتج أن المسلمات أقل يقينية من البديهيات فهي ليست بينة بذاتها وإنما يصادر على صحتها، لأن كل استدلال ينطلق منها يصل إلى نتائج صحيحة غير متناقضة ومن أمثلة ذلك: نسلم أن تصرف الإنسان مرتبط بتحقيق المنفعة له.

ج - **التعريفات:** هو التعبير عن ماهية الشيء المعرف بمصطلحات مضبوطة بحيث يصبح التعريف جامعا مانعا يجمع كل صفات الشيء محل التعريف وهاتان الخاصيتان هما اللتان يمنحان الشيء المعرف هويته الحقيقية.

أدوات الاستدلال: 1

تقتضي العملية الاستدلالية أدوات معينة يستخدمها الباحث لإستخراج النظريات والمبادئ من القضايا الأولية أو المقدمات وهذه الأدوات هي:

أ- **البرهان الرياضي:** هو عملية منطقية تنطلق من قضايا أولية صحيحة إلى قضايا أخرى ناتجة عنها بالضرورة وفق لقواعد منطقية وفي عملية البرهنة نسلم بصحة المقدمات لأن الهدف منها هو البرهان على صحة النتائج المترتبة على المقدمات، فالنتائج المتوصل إليها من خلال البرهان الرياضي لم تشتمل عليها المقدمات فهو يأتي دوما بحقيقة جديدة يتم التوصل إليها عن طريق التسلسل المنطقي من النتائج المتحصل عليها.

ب- **القياس:** وهو عملية منطقية ينطلق منها من مقدمات مسلم بصحتها ويتم التوصل إلى نتائج عبارة عن تحصيل حاصل، بحيث تكون النتائج المتحصل عليها موجودة في المقدمات بطرق ضمنية.

1 عوابدي عمار ، المرجع السابق، ص184 وما بعدها.

ج- **التجريب العقلي:** وهو قيام الباحث ذهنياً بوضع فرضيات وتجارب وهو يختلف عن المنهج التجريبي فهذا الأخير يقوم على الملاحظة والفرضية والتجربة الخارجية (المادية)، بينما التجريب العقلي يكون داخل العقل.

د- **التركيب:** هو عملية منطقية تنطلق من مقدمات صحيحة إلى نتائج معينة وهذه المقدمات هي عبارة عن عمليات إستدلالية منطقية ويتم التركيب بينها للوصول إلى نتيجة.